

الموجهات الحجاجية المباشرة في خطب الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة

طالب الدكتوراه/ رافع سماع علي

SAMAA Ali RAFEA /PhD student Scientific title Assisstant
teacher

Place of work: Directorate of Education of Babylon: A teacher at
Al-Jawahiri Intermediate School for
rafeasa356@gmail.com

الدكتور المشرف: مهدي مقدسي نيا

Supervising doctor MAahdi moghaddasi Nia

m.moqadasi@qom.ac.ir

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب والعلوم الانسانية - جامعة قم- ايران

work/ Department o Arabic Language and Literature - College of Arts
and Human Sciences - University of Qom – Iran

الدكتور المشاور أ.م.د. وسام مجيد جابر البكري

Consultant Dr. WISAM MAJEED JABIR AI-BAKRY

قسم اللغة العربية - كلية الآداب- الجامعة المستنصرية- العراق

Work place / Department of Arabic Language - College of Arts - Al-
Mustansiriya University - Iraq

الإمیل: dr.wisam.albakry@gmail.com

تتبع هذه الدراسة الطريقة التي يوجه بها الإمام كلامه إلى المخاطب ويحاول من خلالها أن يسد أمامه باب المحاجبة والمخاصمة، فيسلم أمره لقول الإمام وينصت إلى ما قاله دون مجادلة أو مناظرة، قائمة على الأفعال اللغوية التوجيهية فهي كل المحاولات الخطابية التي يقوم بها المرسل بدرجات مختلفة للتأثير في المرسل إليه ليقوم بعمل معين في المستقبل، وتتعدد الأفعال التي تدخل في صنف الانجاز والتوجيه ومنها الأوامر، والطلبات، والاقتراحات، والنصائح... كما أنها تعبر عن رغبة المرسل أو امنيته بأن يكون خطابه أو بأن تؤخذ إرادته التي انطوى عليها خطابه على أنها هي السبب الرئيس أو الدافع الحقيقي في الفعل الذي سوف يأتي به المرسل إليه مستقبلاً، فالموجهات اللغوية وفق ما سبق هي الطاقات الحجاجية التي يستثمرها المتكلم لتكون على توجيه مقصد الكلام نحو المتلقي من أجل القيام بعمل ما، وقد راعى الإمام فيها المقام والمقال.

الكلمات المفتاحية: المحاجة النحوية، الموجهات الخطابية، تقنيات الخطاب، الامام علي، نهج البلاغة.

Summary

This study traces the way in which the imam directs his words to the addressee and tries through them to close the door of argumentation and contention in front of him, so he submits his command to the imam's saying and listens to what he said without arguing or debating. In the addressee to do a certain action in the future, and there are many verbs that fall into the category of achievement and guidance, including orders, requests, suggestions, and advice... They also express the sender's desire or wish that his speech be or that his will, which was implied in his speech, be taken as it is. The main reason or real motive for the action that the addressee will bring in the future, Linguistic directives, according to the above, are the argumentative energies that the speaker invests in order to direct the intent of speech towards the recipient in order to perform a certain action, and the imam took into account the position and the article.

الموجهات الحجاجية المباشرة :

ونقصد بها الطريقة التي يوجه بها الإمام كلامه إلى المخاطب ويحاول من خلالها أن يسد أمامه باب المحاجبة والمخاصمة، فيسلم أمره لقول الإمام وينصت إلى ما قاله دون مجادلة أو مناظرة، قائمة على الأفعال اللغوية التوجيهية التي عرفها سورل بأنها: "كل المحاولات الخطابية التي يقوم بها المرسل بدرجات مختلفة للتأثير في المرسل إليه ليقوم بعمل معين في المستقبل، وتتعدد الأفعال التي تدخل في صنف الانجاز والتوجيه ومنها الأوامر، والطلبات، والاقتراحات، والنصائح... كما أنها تعبر عن رغبة المرسل أو امنيته بأن يكون خطابه أو بأن تؤخذ إرادته التي انطوى عليها خطابه على أنها هي السبب الرئيس أو الدافع الحقيقي في لفعل الذي سوف يأتي به المرسل إليه مستقبلاً"^(١)، فالموجهات اللغوية وفق ما سبق هي الطاقات الحجاجية التي يستثمرها المتكلم لتكون على توجيه مقصد الكلام نحو المتلقي من أجل القيام بعمل ما، وقد راعى الإمام فيها المقام والمقال، وهي على قسمين:

أولاً- موجهات مباشرة: وهي الموجهات التي يقصدها الإمام في المحاجة المباشرة للمتلقين، فيستقبلونها دون واسطة، ويشاركونه فيها في الاستماع المباشر، أي تكون حضورياً و وجهاً لوجه، ومنها:

١- الاستفهام: وهو من أهم الظواهر التركيبية التي يستخدمها المُحاجج في العملية الحجاجية؛ لتمييزه على قدرة توجيه الكلام المباشر ومشاركة المستمع الفعالة في الإجابة، وقد وضعه سيرل وأوستن ضمن الأفعال الإنجازية، أما انسكومبر وديكروا فقد فصلوا القول فيه في فصل قائم بذاته في كتابها (الحجاج في اللغة) وعنوانه: (الاستفهام والحجاج)، وقد ميزا بين نوعين من الاستفهام "الأول: يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقاً من قيمته الحجاجية، أما النوع الثاني: فهو الاستفهام العادي الذي يقصد المستفهم من ورائه إلى معرفة صدق الخبر أو كذبه، ولكن هذا النوع قد يوظفه المتكلم ويصبح بالنتيجة عنصراً من عناصر العلاقة الحجاجية وسيكون له إذ ذاك بُعد وطابع حجاجي"^(٢)، ووفق ذلك يمكن أن نميز بين شكلين من أشكال الاستفهام "استفهام مباشر يعتمد على أدوات الاستفهام المعلومة والآخر استفهام غير مباشر يعتمد على استخدام فعل يتضمن معنى السؤال أو الاستعلام أو يكشف عن جهل السائل"^(٣). ويأتي الاستفهام "لإجبار المخاطب على الإجابة على وفق ما يرسمه له البعد الاستفهامي الاقتضائي، وهذا النوع من الاستفهام هو الذي يسميه بلونتين بـ(الاستفهام الحجاجي) أو (السؤال الحجاجي) الذي ليس استخباراً وطلب جواب؛ بل هو وسيلة حجاج فخرج الاستفهام الحقيقي إلى الاستفهام البلاغي/ الحجاجي يهدف إلى تحقيق أفعال إنجازية، وهذا الأمر يتطلب ألا يقوم المخاطب بقراءة حرفية للملفوظ أو على المصرح به؛ بل ينبغي على المضمون القولية،

وهو أمر أشار إليه ديكرو حين بين أن الافتراضات الضمنية في بعض الأسئلة هي التي تجعل من الاستفهام أسلوباً حجاجياً؛ لأنّ أية إجابة مهما كان نوعها لا بد أن تسلم بتلك الافتراضات، بل نقر ضمناً بصحتها^(٤)، ومن ذلك في ذم المتخاذلين من أهل الكوفة وقد تتأقلا في الخروج معه: "أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمُ الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ كَلَامُهُمْ يُوْهِي الصَّمَّ الصَّلَابَ وَفَعْلُكُمْ يُطْمَعُ فِيكُمْ الْأَعْدَاءُ تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ حَيْدِي حَيْدِي مَا عَزَّتْ دَعْوُهُ مِنْ دَعَاكُمْ وَلَا اسْتَرَحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ أَعَالِيلَ بِأَصَالِيلٍ وَسَأَلْتُمُونِي النَّطْوِيلَ دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطْوِيلِ لَا يَمْنَعُ الصَّيْمَ الذَّلِيلُ وَلَا يَدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْحَدِّ أَيُّ دَارٍ بَعَدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ؟ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تَقَاتِلُونَ؟ الْمَغْرُورُ وَاللَّهِ مِنْ غَرَّرْتُمُوهُ وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهِ بِالسَّهْمِ الْأَخِيْبِ وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أَصْدِقُ قَوْلَكُمْ وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ وَلَا أُوْعِدُ الْعُدُوَّ بِكُمْ مَا بَالُكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ الْقَوْمُ رَجَالٌ أَمْثَالُكُمْ قَوْلًا بَغْيِرَ عِلْمٍ وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرِعٍ وَطَمَعًا فِي غَيْرِ حَقِّ"^(٥). يتكون هذا النص من خمسة مقاطع استفهامية رئيسية يقتضيها الحال وتتسم انسجاماً كاملاً ما يرنو إليه النص وتبين مقصده المضموني، لأمرين:

١- أن الخطبة موجهة من الأعلى مرتبة (الإمام) إلى الأدنى (المتلقين)، أ: من الخليفة إلى الرعية؛ لذلك وجب أن يكون الكلام مدعوماً بمنظومة حجج يُسلم من خلالها المتلقي إلى الخطيب.

٢- إن من يوجه هذه الأسئلة الاستفهامية هو إمام علمه رباني مدعوم بالمعجزة والحكمة غير القابلة للأخذ والرد؛ لذلك لم نر في الخطبة شخصاً من المتلقين قام بمحاججته أو بالرد عليه، ولو كان ذلك موجوداً لنقلته المصادر وتناوله الرواة حتى أصبح له وقعه عند المتربصين في الإمام عليه السلام. ومن هنا كان من الأحرى أن نتوقف على تلك الشبكة العلاقية بين تلك الاستفهامات المتكررة في النص لنبين مدلولاتها الحجاجية في تشخيص ربما هو الأقرب من مشهد انعكاس الحالة التي توصل إليها الإمام نتيجة النفاق، حتى جاءت تلك العلاقات عبارة عن سلسلة متواصلة تبني لنا السلسلة التكميلية للنص، فكل وحدة منها تكشف عن دلالة خاصة وتفتح باب المعنى لما بعدها، لتكشف خطاب مباشر وترفع لثام المنافقين، فجاءت على النحو التالي وجميعها حجة وغير قابلة للرد:

١- كشف الحقيقة، ومتمثلة بقوله: (أَيُّ دَارٍ بَعَدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ)، أي: "أتاهم الإمام عن طريق إحساسهم و شعورهم، لأنّ وطن الانسان نفسه و كرامته ، و من استهان بوطنه فقد استهان بنفسه و كرامته، بل و بدينه و عقيدته ، لأنّ حب الوطن من الإيمان"^(٦).

٢- النفاق والخديعة، ويمثلها قوله: (وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تَقَاتِلُونَ؟) أي: "أبداً و لا إمام، لأنهم لا يريدون القتال من الأساس، و يؤثرون الراحة و الكسل على الجهاد و العمل (المغرور و الله من غررتموه) لأنكم كالسراب تقرّبون البعيد، و تبعدون القريب، و من هنا وصفهم الإمام في غير مكان بالكذب و النفاق (و من فاز بكم فقد فاز و الله بالسهم الأخيب)"^(٧).

٣- الغدر والخيانة، ومتمثلة بقوله: (وَلَا أُوْعِدُ الْعُدُوَّ بِكُمْ مَا بَالُكُمْ؟) وهي لا تبعد عن الاستفهامات السابقة؛ إذ تكشف عن معادن القوم وما يضمرونه في أنفسهم.

٤- العجز من الدواء، ومتمثلة بقوله (مَا دَوَاؤُكُمْ؟)، ولو كانت هنالك طريقة للعلاج لوجدها الإمام وتخلص من غدرهم وخيانتهم

٥- الاندهاش بالمظهر، ويمثله قوله: (مَا طِبُّكُمْ؟ الْقَوْمُ رَجَالٌ أَمْثَالُكُمْ قَوْلًا بَغْيِرَ عِلْمٍ)، هوي مرحلة تتعلق بالخاتمة النهائي للنص، بأنهم عبارة عن أبدان مخيفة، وعقول فارغة، وبذلك يكون السامع قد مرّ بسلسلة من الاستفهامات المباشرة كشفت عن حقيقة القوم ودواخلهم، ولعل الناظر لتلك الاستفهامات يكشف أنّ كلاً منها قد جاء بنية تركيبية حجاجية قائمة بذاتها، مرتبطة بما قبلها، كاشفة لما بعدها، كما أنّ لكل منها صيغة وظيفية لا يؤديه غيره وباتحاد مجموع تلك الوظائف الحجاجية يبرز الإمام هوية هؤلاء القوم ويكشف عن بواطنهم وما يضمرونه.

٢- القسم: يُعد القسم من أهم الأفعال الحجاجية التي توجه حجة المرسل توجيهاً يقينياً، يلجأ إليه المتكلم لإثبات كلامه في قضية ما وتوكيده، ويوجب حجته على المخاطب ويلزمه بها، وهذا ما أشار إليه القشيري بقوله: "إنّ الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أنّ الحكم يفصل بين اثنين: أما بالشهادة، وأما بالقسم فذكر تعالى النوعين حتى لا تبقى لهم حجة"^(٨)، لهذا ذكروا شروط القسم: "ولا يكون القسم إلا باسم معظم"^(٩)، أي: "كون المقسم به يقع ضمن المنظومة الثقافية التي تدور في فلكها المتكلم والمتلقي التي تشكل عوالم إيمانية وعرفية مسلم بها، فالدلالة الكلية للقسم لا تتجه للقسم بذاته فحسب، وإنما يُراد منها تحقيق الغرض التواصلية الذي يطمح إلى دفع المخاطب إلى الوثوق بكلام المخاطب، ومن ثمّ يكون دوره ضرورياً جداً لإنتاج الإقناع أو لاحتمال حصوله على الأقل"^(١٠)، ومنه قول الإمام عليه السلام لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرصد لهما القتال: "وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالصَّبُعِ تَنَامَ عَلَى طُولِ اللَّذْمِ حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا وَكَيْفِي أَضْرِبُ بِالْمَقْبَلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ وَبِالسَّمْعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِي الْمُرِيبِ أَبْدَأُ حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي فَوَ اللَّهُ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأْتِراً عَلَيَّ مِنْذُ قَبْضِ اللَّهِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا"^(١١).

قال مغنية، ومعنى الخطبة: "كيف أصبر و انتظر حتى يغزوني العدو في عقر داري؟ أتريدونني أن أكون كالضبع يخذعها صائدها؟ لا كان ذلك أبداً (و لكنني أضرب بالمقبل الى الحق المدير عنه، و بالسامع المطيع العاصي المريب أبداً حتى يأتي علي يومي) . أبداً لا هودة عند الإمام للطغاة و المجرمين ما وجد عليهم أعوانا و أنصارا . . لقد وجد المجرمون الأعوان للباطل، فثاروا بهم على الحق وحاربوه، فهل يستسلم الإمام، و عنده من يسمع و يطيع؟ و بماذا يعتذر الى الله و الناس؟ (فو الله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً علي منذ قبض رسول الله(ص) حتى يوم الناس هذا) أن حق الإمام في الخلافة هو حقوق الانسان بالذات، لأنه الحارس لها و الضامن، و من أجل هذا وحده حاربوه و دافعوه عن الخلافة، و لما توافرت له أسبابها ثار عليه الناكثون والقاسطون والمارقون، وخلقوا المشاكل و المصاعب للإسلام و المجتمع الاسلامي بكامله من التفرقة في الدين، و سفك الدماء، و انتهاك الحرمات فتنظّم الإمام و تألم للحق و الناس جميعاً^(١٢). تبدأ الخطبة بالقسم هو خطاب مباشر إلى متلقي يسمع ويشاهد؛ ليكون أكثر ثبوتية و حجة في القول، مستنداً فيها الإمام إلى التشبيه(كالضبع) الذي يسحب المتلقي إلى تأمل القول والتدبر في الفكرة التي أرد من أجلها استقطابهم وشددهم إليها؛ ليجعل ذلك باباً مباشراً للدخول إلى الفكرة دون تمهيد أو مقدمة، وعلى الرغم من أن مدار الحديث في النص يدور حول كشف الحقائق وإظهارها ومن المفترض أن يتأمل الناس الأمور قبل فوات الأوان، إلا أن قطب الحديث لا يخرج عن طريقين، طريق يكشف تنبه الإمام في الأمور والاستشراف المستقبلي لها، فلو سائر هوى غيره لوقع في المكيدة لا محال. وطريق حجاجي آخر، يكشف عن خديعة القوم ودهائهم، وهذا ما يجعل القسم يتعاضد مع الكشف والإخبار فيجعل اللغة أكثر حجاجية تطابق رغبة الخطيب في تفعيل القوانين الحجاجية، لتحرك قضية مفصلية مفاده أن القوم لا أمان لهم، منهجهم قائم الخدع والمكيدة، وهذا ما يجعل السامع معني بها مهما كان مقامه ومرتبته الاجتماعية؛ إذ تكشف السياقات المضرة للنص أن الخطاب لم يكن مقصوداً على الإمام وحده، بل المكيدة تتعداه إلى عامة الرعية، فكأنه قال: من وقف في طريقهم نصبوا له الكيد كما ينصبون للضبع عند اصطيداه، فالحذر الحذر منهم؛ لذلك نراه يبين موقفه منهم بصراحة دون خشية أو تردد " وَكَيْفِي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِي الْمُرِيبِ أَبَدًا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي"؛ وهذه حقيقة لم تكن بجديدة على الإمام "فَوَ اللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ مِنْذُ قَبْضِ اللَّهِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا"، لذلك ترى أن تلك التراكيب قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بنفسية الإمام والحالة التي توصل إليها؛ لأن دراسة النصوص أولت "اهتماماً كبيراً لقضية الذوق الشخصي للمبدع، إذ إن المبدع يقوم باختياراته، وتأليف نصوصه معتمداً على هذا الذوق الشخصي، لا على مثال مصطفى أو متعال فوق الزمن، ومن ثم فإن لكل مبدع أسلوباً خاصاً به، وهذا الأسلوب يكشف خصائص المبدع وتجربته من جميع جوانبها" ^(١٣). ومنه قوله عليه السلام: "إِنَّ الْفَتْنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذَا أُدْبِرَتْ نَبَّهَتْ، يُنْكَرُنْ مُقْبِلَاتٍ، وَيُعْرَفُنْ مُدْبِرَاتٍ، يَحْمَنُ حَوْمَ الرِّيَاحِ، يُصِيبُنْ بَلْدًا وَيُحْطِنُنْ بَلْدًا. أَلَا وَإِنَّ أَحْوَفَ الْفَتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمِيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةُ عَمِيَاءَ مُظْلِمَةٍ، عَمَّتْ خَطْئَهَا، وَخَصَّتْ بَلِيَّتَهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا. وَإِنَّ اللَّهَ لَتَجِدُنْ بَنِي أُمِيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءِ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ: تَعْذِمُ بِفِيهَا، وَتَحْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزِينُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا، لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرَكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعًا لَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، وَلَا يَزَالُ بِلَاؤُهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلَ انْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَضْحَبِهِ، تَرُدُّ عَلَيْكُمْ فِتْنَتَهُمْ شَوْهَاءَ مَحْشِيَّةً، وَقِطْعًا جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ هُدَى، وَلَا عِلْمٌ يَرَى"^(١٤). تتجلى عبر ظاهرة القسم أهم القيم الإقناع على الصعيد الحجاجي بوصفها من المهيمنات الأسلوبية في المجادلة والمخاصمة، التي تجعل المتلقي جدير بالتأمل والتسليم بما يقوله المرسل، ويتضح من تنوع الأساليب الحجاجية في النص السابق أن القسم في قوله: " وَإِنَّ اللَّهَ لَتَجِدُنْ بَنِي أُمِيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءِ بَعْدِي" البؤرة المكتفة التي يدور حولها النص، إذ يسهم في جعل النص حافلاً بكم هائل وإضاءات من الأساليب البلاغية، التي أضفت على النص شحنات حجاجية متصاعدة عن طريق التلاعب بالضمائر مرة والمقابلة والتضاد مرة أخرى، فشكل هذه الدلالات شبكة من الدلالات المتداخلة مثل فيها القسم خيطاً رئيسياً. تكشف هذه الخطبة عن حقيقة بني أمية فيصنفهم بالفتنة المظلمة والناب الضروس، التي يتمنى المرء فيها أن يعود علياً ليسود الحق كما كان عليه، وقد عمل ذلك القسم على إيجاد علاقات ثنائية تزيل الغموض وتكشف اللثام، وتبديل تلك الثنائيات بتبادل التراكيب والألفاظ، إذ تشكل مهيمناً أسلوبياً يمتد إلى قدرة الإمام في التنبؤ المستقبلي ووقوعه، كما أن تلك في قول الإمام ماهي "إلا" مركب ثنائي التكوين، أحد طرفيه لا يعرف إلا من خلال الآخر، وهذا الآخر يرتبط بدوره مع الأول بعلاقة أقرب إلى التشابه، أي أنها ليست علاقة تطابق كامل^(١٥)، وهذا ما يكشف أن دلالة النص قد عززت مجموعة ثنائيات كشفت عن مرحلة تاريخية ستأتي بعد الإمام:

١- الكشف عن الأمور متأخراً لا فائدة منه "يُنْكَرُنْ مُقْبِلَاتٍ، وَيُعْرَفُنْ مُدْبِرَاتٍ" فلا حكمة من العقل بعد مرور الفتنة وإدراكها؛ وأنما منبع الحكمة في توقيها قبل وقوعها.

٢- عظم الوقعة ووقع البلاء "أخوف الفتن عندي عليكم فتنه بني أمية، فإنها فتنه عمياء مظلمة، عمّت خطئها، وخصت بليئها، وأصاب البلاء من أبصر فيها" وهي منسجمة مع الفكرة الرئيسية للنص وبورته التي يدور حولها.

٣- الخنوع والاستعداد: "وتخبط بيدها، وتزين برجلها، وتمنع ذرها، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم، أو غير ضائر بهم"
٤- وقوع الأمر دون الشك في ذلك "وإنم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء بعدي" وذلك بؤرة النص وقطبه الذي يدور حوله البعد الحجاجي، دون مجادلة أو مخاصمة؛ لأن "أي عمل فني يراد منه التأثير في الآخرين، لا بد أن يحمل سمات ذلك الفنان الذي أبدعه وأظهره إلى الوجود عن طريق موهبته الفنية الأصيلة، التي لا تقف عند الانفعال العابر، وإنما إلى تحقيق الجمالية الفنية المبتغاة، التي تحاكي عاطفة المبدع"
(١٦).

٣- النداء: ونقصد به: "هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب أنادي المنقول من الخبر إلى الإنشاء • وأدواته هي: الهمزة، وأي، ويا، وأي، وأي، وهيا، ووا"^(١٧)، لقد جاءت بنية النداء حجاجية خالصة في خطب الإمام عليه السلام من حيث الورد - بعد بنية الاستفهام والسمة الأسلوبية المميزة لاستعمال هذه البنية، استعماله لحرف النداء (الياء)، دون بقية الأحرف الأخرى إلا نادراً بحيث لا تشكل ظاهرة أسلوبية مثل الياء، ومن ذلك، لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العباس وأبو سفيان في أن يبایعا له بالخلافة، فيقول: "أيها الناس شئوا أمواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وصعوا تيجان المفارقة أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح هذا ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومختتي الثمرة لغير وقت وإنما كالأزرع بغير أرضه"^(١٨). تبدأ الخطبة بأسلوب النداء المباشر دون واسطة، متخذاً من أسلوب التقريرية الفورية سبيلاً للحديث دون أن يسحب السامع إلى طريقة مجازية تبعده عن فكرة الموضوع الرئيسية؛ كي يستقطب السامع ويشد انتباهه إليه، وعلى الرغم من أن سياق النص يندرج تحت التحذير الذي لا بد أن يستفيد منه السامع قبل الوقوع في الفتنة. ويحرك ذلك النداء أقد المشاعر عند السامع فيوقف عنده البعد الحجاجي ويوقف عنده الانتباه؛ وكأن هناك ضرورة توجب التفات السامع إليه ليوصل إليه الرسالة؛ لذلك نرى أن رسالة النداء جاءت عامة "أيها الناس" دون أن يقصد منهم فئة معينة، كما يطلق عاملها الزمني، فجاء ذلك النداء مفتوح الزمان والمكان؛ ليشمل أكبر عدد من الناس ويكون أكثر امتداداً للزمن. ويمتد حديث السياق الدلالي للنداء فيفتح لنا ظاهرة نزوع اللغة المجازية "أمواج الفتن، سفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وصعوا تيجان المفارقة..." وهو نوع من المجاز العقلي، فالدرابية بأحوال الوقوع ليست مسألة عادية يستقبلها الناس دون ضرر؛ وإنما هي "هذا ماء آجن ولقمة يغص بها" لا يتقبلها أحد، ولا يتخلص من أثرها كائن. ومنه قوله عليه السلام: "أيها القوم الشاهدة أبدأئهم الغائبية عنهم عقولهم المختلفة أهواؤهم المبتلى بهم أمرؤهم صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه لوددت والله أن معاوية صارفتي بكم صرف الدينار بالذره فآخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم يا أهل الكوفة منيت منكم بثلاث وأثننتين صم ذوو أسماع وبكم ذوو كلام وعمي ذوو أبصار لا أخزأ صدق عند اللقاء ولا إخوان ثقة عند البلاء تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر"^(١٩). ويبدو واضحاً في النص السابق ما يسهم به النداء من بنية سياقية تمنح النص شحنات حجاجية تجسد عمومية الكلام على هذا المستوى، معتمدة على الموازنة بين فريقين، الأول ملتزم بشرائع الله لا يخرج عن حدودها (الإمام) إلا أن الله ابتلاه بعضيان قومه وصمم آذانهم، وفريق آخر قائدهم فاجر لا يلتزم بحدود الله ولا ينتهي بناهيه؛ إلا أن قومه يمشون خلفه كمشي الأعمى في الإطاعة لا يعصون له أمراً. إن أول ما يسترعي الانتباه في هذه الخطبة أن النداء باب للسجع وتوافق الجمل، فجاءت ظاهرة التوافقات الصوتية موزعة على أكثر من محمور، كما توزعت تلك التفقيات على جميع الجمل لدرجة أصبح ذلك التجانس الصوتي لا يخرج عما أراده النداء ولا يتعد عنه، فمثل سلسلة حجاجية مستمرة ومتماسكة، ما إن يبدأ القارئ بالجملة الندائية العامة غير موجهة إلى مجموعة معينة حتى تلتزم تلك السجعات المتوافقة مع الافتتاح ليكمل النص حتى نهايته، وهذا ما يزيد من الظاهرة الحجاجية في النص ويجعلها أكثر تأثيراً؛ إذ لا يتخلص المتلقي من شباك النص إلا بعد تمامه وفهم مقصوده كاملاً، وذلك ما أصبح مدار بحث الأسلوبيين في النص، لعلم الأسلوب؛ لأن مدار عملهم قائم على "البحث عن تلك العلاقات المتبادلة بين الدوال والمدلولات عبر التحليل الدقيق للصلة بين جميع العناصر الدالة وجميع العناصر المدلولة، بحثاً يتوخى تكاملها النهائي، ويقتصر عند الممارسة العملية على أهمها وأخطرها"^(٢٠)، وهذا يعتمد على إمكانية المبدع في حسن الاختيار والنظم.

٤- الأمر :

يعد أسلوب الأمر من الأساليب الإنشائية المهمة، الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب، وهو "لا يدل على حدث بقدر ما يدل في الأصل على طلب القيام بحدث"^(٢١) وهو "طلب حصول الفعل من المخاطب، على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله أربع صيغ: فعل الأمر،

والمضارع المجزوم بلام الأمر، واسم فعل الأمر، والمصدر النائب عن فعل الأمر^(٢٢)، ومن ذلك من خطبة له في النهي عن التحاسد والوصية بالقرابة والعشيرة: " احذروا من الله ما حذركم من نفسه، واخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة، فأنته من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له ومن عمل لله مخلصاً تولى الله ثوابه. نسأل الله منازل الشهداء، ومعايشة السعداء، ومرافقة الأنبياء^(٢٣). ومعنى ذلك أن " من خاف الله حقاً و صدقاً لم يعصه في شيء يعتذر معه بأعدار واهية كاذبة ، و من عصى الله و اعتذر مدعياً الخوف منه فهو كاذب في دعواه، لأن الذي يخاف الله يتبين خوفه في عمله، و بكلمة: المؤمن الحق لا يخشى إلا الله ، و لا يطيع أحداً سواه، و هل يجتمع الرياء و الايمان بأن الله وحده هو مالك الضر و النفع ؟ أما الشهرة فهي معشوقة الأذلاء الذين يعتزون بغير الله^(٢٤). وتقوم هذه الخطبة على اللغة المباشرة التي تعتمد على أسلوب الطلب (الأمر) ضمن سلسلة من النصح والإرشاد يقدمها الإمام إلى عامة الناس بوصفه إمام الأمة أولاً وفرداً من أفراد المجتمع الإسلامي، ويقوم ذلك النص على حجاجة الالتزام بأوامر الله سبحانه وتعالى والالتزام الديني، حيث سوغت هذه النصيحة عبر تجسيدها بأفعال الأمر (احذروا، اخشوه، اعملوا) ليكون ذلك الأمر المجازي الذي خرج إلى التحذير سبباً للجزاء الحسن، وياًباً من أبواب الرحمة الإلهية "من عمل لله مخلصاً تولى الله ثوابه"، ومن ذلك قوله عليه السلام "اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبكم وأسألوه من أداء حقه ما سألكم وأسمعوا دعوة الموت أذاتكم قبل أن يدعى بكم إن الرهدين في الدنيا تنكي قلوبهم وإن صحكوا ويشتد حزنتهم وإن فرحوا ويكثر مفتحهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما رزقوا"^(٢٥) تتأتى الظاهرة الحجاجية في هذه الخطبة من بساطة اللغة ومباشرتها، فجاءت في إطار اللغة الحقيقية الواضحة متناسبة مع ما يرنو إليه الإمام، فبين من خلال أفعال الأمر ما يتوجب على السامعين فعله (اجعلوا، أسألوه، اسمعوه)؛ فالحديث عن الالتزام الديني لا يحتاج إلى الخيال في أغلب الأحيان، ولا يستدعي من الخطيب استحضار الصياغات البلاغية والمجازية؛ لئلا يفقد النص الحجاجي قيمته فيأخذ السامع في تأمل معنى الكلام ويترك فحواه، هو أمر اهتم به المحاجون وعولوا على " الألفة بين المبدع والمتلقي فهي توجد تقارباً وتآلفاً وتوحداً في شئين لتسهيل استخراج الكامن وكشف قيم جديدة للتجربة الجمالية"^(٢٦)، فعمد الإمام إلى بناء هذه الألفة حتى يصل رسالته عبر الأمر إلى الآخر ويجعلها أكثر تأثير دون أن يقابله بالرد أو الخصوم فيما قاله.

الخاتمة

ويعد هذه الجولة العلمية الماتعة في خطاب الامام علي عليه السلام أنضح أنه أستعمل أساليب حجاجية مختلفة لإقناع القوم بما يراه، ومن أهم هذه الاساليب المتبعة اسلوب المحاجة المباشرة بالأساليب النحوية التي تقم المخاطب وتلزمه الحجة، وقد اتخذ الامام عليه السلام من الاساليب النحوية الاستفهام والقسم والنداء والامر، وسيلة لإلزام الآخر الحجة البالغة.

الهوامش:

- ١- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجية الخطاب- مقارنة تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م، ص: ٣٣٧.
- ٢- العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م، ص: ٥٨.
- ٣- الصديق ، حسن، المناظرة في الأدب الإسلامي، الشركة المصرية العالمية، لونغمان، مصر، ط١، ٢٠٠٠م، ص: ٣٥٢.
- ٤- الديردي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط٢، ٢٠١١م، ص: ١٤٢-.
- ٥- عبدة، محمد، نهج البلاغة: ٦٩- ٧٠.
- ٦- مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة: ١/ ٢٠٢.
- ٧- مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة: ٢٠٢- ٢٠٣.
- ٨- السيوطي، الإقتان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم: ٢/ ١٣٢.
- ٩- السيوطي، الإقتان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم: ٢/ ١٣٢.
- ١٠- الزبيدي، رائد مجيد جبار، الحجاج في نهج البلاغ- الرسائل اختياراًن أطروحة دكتوراه، اشراف الدكتور: أحمد حياوي السعد، جامعة البصرة، كلية ، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٣، ص: ١٢٢.
- ١١- عبدة، محمد، نهج البلاغة: ٤٢.
- ١٢- مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة: ١/ ١١٢- ١١٣.

- ١٣- أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للطباعة والنشر، ط٢٠١٦م، ص: ٦٥.
- ١٤- عبدة، محمد، نهج البلاغة: ١٦٠.
- ١٥- مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري- استراتيجية التناص، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م، ص: ٢٤٣.
- ١٦- الجمالية في النص الشعري مطولة بلقيس انموذجا ، وسام محمد منشد، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية : ١١٨.
- ١٧- السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م، ص: ٢٧٥/٤ - ٢٧٦.
- ١٨- عبدة، محمد، نهج البلاغة: ٤١.
- ١٩- عبدة، محمد، نهج البلاغة: ١٦٥.
- ٢٠- فضل، صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، ٢٠٠٧م، ص : ١٤١.
- ٢١- الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م: ٣٥٨.
- ٢٢- عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩: ٥٨.
- ٢٣- عبدة، محمد، نهج البلاغة: ٥٨.
- ٢٤- مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة: ١/ ١٩٣.
- ٢٥- عبدة، محمد، نهج البلاغة: ١٩١ - ١٩٢.
- ٢٦- عبدة، مصطفى، فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م، ص: ٧٥.

المصادر والمراجع:

١. أبو العدوس، يوسف، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للطباعة والنشر، ط٢، ٢٠١٦م.
٢. الجمالية في النص الشعري مطولة بلقيس انموذجا، وسام محمد منشد، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد ٤.٣، ٢٠٠٧م.
٣. الدريدي، سامية، الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط٢، ٢٠١١م.
٤. الزبيدي، رائد مجيد جبار، الحجاج في نهج البلاغ- الرسائل اختياراتاً اطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٣م.
٥. السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.
٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، الإيقان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م
٧. الشهري، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجية الخطاب- مقارنة تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.
٨. الصديق، حسن، المناظرة في الأدب الإسلامي، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، مصر، ط١، ٢٠٠٠م.
٩. الطرابلسي، محمد الهادي، خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م.
١٠. عبدة، محمد، نهج البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، د.ط، د.ت.
١١. عبدة، مصطفى، فلسفة الجمال ودور العقل في الإبداع الفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م.
١٢. عتيق، عبد العزيز، علم المعاني، دار النهضة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
١٣. العزاوي، أبو بكر، الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
١٤. فضل، صلاح، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، ٢٠٠٧م.
١٥. مغنية، محمد جواد، في ظلال نهج البلاغة، دار العلم للملايين - بيروت لبنان، ط٣، ١٩٧٩م.
١٦. مفتاح، محمد، تحليل الخطاب الشعري- استراتيجية التناص، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م.